

وفاء الترجمة الفرنسية لمسرحية "فاطمة" بين مستويات اللغة وروح ثقافة النص

سليم قسطنطيني

جامعة السربون باريس 4

Résumé :

Dans cet essai d'analyse de la traduction de « *Fatma* », nous sommes devant une question principale : la traduction française était-elle fidèle au texte arabe du dialecte algérien ? Comment la traduction a-t-elle montré les registres de langues parlées en Algérie ? Quels sont les choix lexicaux et syntaxiques, et avec quelle langue, la traduction exprime-t-elle le dialecte algérien ? Quel est le lien entre traduction et culture et traduction et ironie algérienne ? Dans un premier temps, nous nous concentrerons sur la traduction des registres de langues présentées dans la pièce, puis nous analyserons la traduction française et son rapport à la culture « algérienne », enfin nous étudierons la notion de la fidélité de la traduction française.

الملخص:

لقد ترجمت فاطمة لعدة لغات. في هذا المقال سنحاول الخوض في الترجمة الفرنسية في مطبوعات " فوضى الآخرين"،

وأمامنا إشكالية واحدة: هل كانت هذه الترجمة وفية للنص العربي؟ ونتفرع عن هذه الإشكالية أسئلة عديدة: كيف ترجمة لغة موليير مستويات اللغة العربية؟ ما هو السبيل لهذه اللغة لترجمة نفسها؟

ما العلاقة بين وفاء الترجمة واحترام النص المسرحي؟ ما علاقة الترجمة بثقافة المجتمع الذي كتبت لأجله المسرحية؟ في البداية سنركز على مدى وفاء الترجمة الفرنسية للغة النص "القطافي"، ثم نخرج إلى مدى احترام هذه الترجمة لثقافة النص المكتوب، لنختم بدراسة علاقة الترجمة بكتابة النص المسرحي وما تحيط بها من تمثيلات.

الكلمات الدالة: ترجمة، مسرح، بن قطاف، ثقافة النص، مستويات اللغة، وفاء.

Mots clés : Traduction, Théâtre, Benghettaf, Culture du texte, Registres de langue, Fidélité.

حين نتحدث عن المسرح الجزائري يتبادر في ذهننا المسرح المكتوب باللغة العامية، فلقد استغل الكتاب لغة الشعب من أجل تصوير وتحليل المجتمع. ومن بين هؤلاء الكتاب محمد بن قطاف (1939-2014)، الذي رأس المسرح الوطني الجزائري وكتب عدة مسرحيات نذكر من بينها "جحا والناس" و"فاطمة":

« Certes Alloula, Kaki, Bénaïssa, Benguettaf, Fetmouche... sont eux aussi d'anciens comédiens, mais qui disposent d'une sérieuse formation théorique et d'une capacité certaine à construire des univers dramatiques. D'ailleurs, ces auteurs qui montent souvent leurs pièces, de formation différente, arrivent à explorer divers lieux de l'écriture théâtrale et à proposer des expériences originales et singulières »¹.

إن قراءتنا لمسرحية "فاطمة" (1998) يظهر لنا ثلاثة مواضيع هامة:

أولاً: الذاكرة والتاريخ مع التركيز على معاناة الشعب الجزائري.

ثانياً: المرأة ووضعيتها في المجتمع.

ثالثاً: اللغة ومستوياتها في شرائح المجتمع.

لقد ترجمت فاطمة لعدة لغات، فتقرأ الترجمة الإيطالية على يد ماركو دي كستنزو والترجمة البرتغالية بقلم ماريو جاك والترجمة الفرنسية في مطبوعات "فوضى الآخرين". في هذا المقال سنحاول الخوض في الترجمة الفرنسية وأمامنا إشكالية واحدة: هل كانت هذه الترجمة وفية للنص العربي؟ ونتفرع عن هذه الإشكالية أسئلة عديدة: كيف ترجمت لغة موليير مستويات اللغة العربية؟ ما هو السبيل لهذه اللغة لترجمة نفسها؟ ما العلاقة بين وفاء الترجمة واحترام النص المسرحي؟ ما علاقة الترجمة بثقافة المجتمع الذي كتبت لأجله المسرحية؟ في البداية سنركز على مدى وفاء الترجمة الفرنسية للغة النص "القطافي"، ثم نخرج إلى مدى احترام هذه الترجمة لثقافة النص المكتوب، لنختم بدراسة علاقة الترجمة بكتابة النص المسرحي وما تحيط بها من تمثيلات.

1. الترجمة الفرنسية و مستويات لغات النص العربي:

لقد احتل محمد بن قطاف مكانة مرموقة في المسرح الجزائري كاتباً وممثلاً. إن الكاتب المسرحي هو ممثل الشعب، هكذا كان في الجزائر منذ نشأة هذا الفن، حيث له رسالة عظيمة لأنه يترجم مشاعر الشعب وتطلعاته:

« Le théâtre algérien n'a pas surgi brusquement au milieu du désert. Il est né en 1921 à Alger, dans une société en pleine mutation, animée par une élite bourgeoise très active, qui s'était donné pour mission de réveiller, d'instruire et d'éduquer une population souffrant de son ignorance, consciente de son retard dans le domaine économique, social, politique et intellectuel.[...]. Synthèse des aspirations de la majorité des Algériens, le théâtre traduit la prise de conscience de plus en plus lucide d'une société qui appelle sinon une révolution, du moins de profonds changements »².

ومنذ نشأة المسرح الجزائري كانت هناك إشكالية اللغة. بأي لغة نكتب؟ بالعربية الفصحى أم بالدارجة أم بالأمازيغية أم بالفرنسية؟ لقد تركبت مسرحية ابن قطاف من شخصية واحدة هي فاطمة التي كانت

تحكي حياتها، طفلة وطالبة ومسّاحة، صورت عالمها التي كانت تحيا فيه مع صديقاتها وجيرانها والمسؤولين الذين شغلوها. الصوت واحد، صوت "فاطمة" ولكن الشخصيات متعددة ومستويات اللغة أيضا.

لقد شغلت اللغة العامية الخير الأكبر في المسرحية، لكن مستويات هذه اللغة تختلف من شخصية الى أخرى، فكلام عمي الحاج، شيخ العمارة الذي صبغته حكمة ودراية ليس ككلام سائق سيارة الوزير الذي وظّف لغة قد مازحت ببين العامية والفصحى. لقد كانت هذه اللعبة في مستويات اللغة لينة هامة في كتابة فاطمة. وعموما فقد استعمل ابن قطاف لغة "وسطى" زاوجت بين الوظائف الصرفية والنحوية للغة الضاد وبين خفة الدارجة:

« Dans les situations formelles, dans certaines relations de travail, les personnages de théâtre utilisent exclusivement l'arabe classique ou bien une langue moyenne (que nous avons appelé arabe classique moyen) entre le premier et l'arabe parlé, alors que les personnages sociaux réels utiliseraient au moins pour moitié le français, étant donné le nombre de lettrés dans cette langue l'utilisant exclusivement dans le travail. »³.

سنسجل ثلاثة أمثلة حول هذه المستويات اللغوية وترجمتها بالفرنسية ثم نحلل فيما بعد مدى وفائها للنص العربي.

"والحق الجيران كامل يحبوه غير هذاك السمينّة امتاع جمال. [...]

راح شاف عمي الحاج قال له: "لا يجوز". الزواج يكمل برضى الطرفين". 13

« C'est un grand cœur, Ammi el Hadj, estimé de tous, sauf ce gros plein de soupe de Djamel, [...] Ammi el Hadj l'a reçu en ces termes : ça ne passera pas mon fils « la yadjouz », notre religion affirme qu'un mariage n'est valable qu'avec le consentement des deux parties ». 14

"ويختم نهاره بثلاث اجتماعات امتاع بحث ودرس وتفكير في تطوير وسائل العمل!" أشحال يعرف يهدر بالفصحى لما بيكون في السيارة

الكحلة! حتى يغيبهالي وننسى أن هو السائق بركة. في الحق جميع اللي يركبو في السيارات الكحلة يعرفو يهدرو.. ساعات نسأل نفسي من أين يجيبوا هذه الهدرة كامل؟ . [...] شكون كان يتصور يوصلو لهذا المستوى في علم الهدرة.. " 17-18

« Après nous finirons la journée avec trois séances de travail où il sera question de rechercher, d'étudier, et de réfléchir sur les voies et moyens pouvant permettre d'améliorer et de promouvoir les conditions de production et de productivité. Oh ! lala ! ce qu'il parle bien en arabe classique quand il est dans la voiture noire. Il parvient à me faire oublier qu'il n'est que le chauffeur. En vérité, tous ceux qui montent dans les voitures noires savent parler. . [...] Qui aurait pensé qu'ils parviennent à ce niveau de maîtrise de la science du discours » 22-23.

"أمالا رفدت البيدون والنشاف امتاعي كالراجل وقلت له: " اسمع يا أيها الكبير - بالفصحى - أنا لا أَعْمَلُ الإِضْرَابَ وَأَنْتَ إِذَا غَاضَكَ الْحَالُ وَتُحِبُّ الإِضْرَابَاتِ أَجْمَعُ أَصْحَابَكَ الْمَسْؤُولِينَ وَاَعْمَلُوا إِضْرَابًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ! هَذَا شَيْءٌ يُسَعِدُنَا وَيُسَاعِدُنَا" 20.

« Alors j'ai pris mon bidon, ma serpillère et avant de partir : « Écoute, ô ! toi, le grand, moi, je ne fais pas de grève et si cela te vexe et que tu aimes tant les grèves, ramasse tes amis responsables et faites-la jusqu'au jugement dernier ». 27.

في المثال الأول اكتفى المترجم بوضع "لا يجوز" بين مزدوجتين، مصطلح يحمل معنى الحرام في الدين الإسلامي. لكن وجب أن نعرف أن جملة "عمي الحاج" كانت بالعربية الفصحى خاصة باستعمال مفردة "طرفين". لم تعط الترجمة حق عبارة "لا يجوز" فقد خلعت عنها روحها الدينية ولعل الكاتب كان قد أحسن إذا ما وظف كلمة "illicite"!

في المثال الثاني، يحدث السائق فاطمة عن مشاغل الوزير، لقد استعمل العربية الفصحى و لقد بين الكاتب ذلك بأن شكّل كلمات السائق ليبرهن أنه استعمل الفصحى وهذا ما لم تحترمه الترجمة.

« Il est incontestable que l'arabe parlé dont nous usions a rendu le théâtre accessible au grand public. Cette langue appelée à tort « vulgaire » était à l'époque une langue usuelle purement arabe. Pour l'essentiel, elle n'était différente de la langue classique que par le non-respect de la syntaxe et de la morphologie. [...]. C'est un fait indubitable, l'arabe usuel que nous avons utilisé dans nos pièces a contribué à intéresser le public algérien au théâtre »⁴.

والقارئ الفرنسي لا يرى اختلافا في مستويات اللغة الفرنسية، أقصد المستوى الأعلى "soutenu" والمستوى الشعبي "familier". فالسائق يتحدث بالفصحى لأنه يريد أن يقلد الوزراء وهذا ما تيقنت به فاطمة وهي تستمع لحديثه الذي أنساها المنزلة الحقيقية للسائق.

إن المثال الثالث يقيم التحليل نفسه: فاطمة تجيب المسؤول السياسي بالعربية الفصحى، وكأنها تريد التهكم والسخرية منه. فاللغة الفصحى كانت قليلة الاستعمال عند شرائح المجتمع سوى إذا ما استثنينا المثقفين ورجال السياسة والدين. لم تأبه الترجمة الفرنسية لهذا المستوى من اللغة حتى أن المترجم لم يذكر كما ذكر في المثال السابق أن فاطمة كانت تتكلم بالفصحى رغم أن ابن قطاف قد أشار إلى ذلك.

لما كانت فاطمة تعمل في السطح كانت الجارات تطلبن منها المساعدة فنقرأ:

فاطمة يا بنتي هاكي سروال عمك السعيد اغسله معاك يرحم والديك، أنا عندي الضياف .

فاطمة، "سلتوبلي" تقدري تغسليلي "لومشوار" امتاع "مو ماري" أنا "جوسوي أنفيتي" و"لابون" علابالك ماجيش اليوم 14.

« - Fatma, ma fille, tu peux me laver le pantalon de tonton Saïd ? Moi, j'ai des invités... et Dieu te garde ta santé.

- Fatma, s'il te plaît, tu peux me laver le mouchoir de mon mari, moi, je suis invitée et la bonne, comme tu le sais, ne vient pas aujourd'hui... » 17-18

في حديث المرأتين، لا تستطيع أن تكشف اختلاف مستويات اللغة رغم أن ذلك جليّ في النص العربي. فالجارية الأولى كانت تتحدث بالدارجة، أما لالا سعيدة فقد أخلطت بين الدارجة والفرنسية، أو بالأحرى استعملت اللغة الفرنسية. وإن استعمالها لهذا المستوى اللغوي دليل على أنها كانت تريد أن تظهر تفوقها، وخاصة ونحن نعلم أن نعلم أن الفرنسية كانت تستعمل من طرف الأغنياء وأصحاب المناصب كممثل حديث الوزير مع فاطمة:

”ساعات يهدر معاي قاع: “ فاطمة غدوه معولين أنديرو لوقغونميناج” في الدار. تقدري تتكرمي علينا وتضربي دورة لعدنا؟ “جوتوباي” ونبعث لك السيارة الكحلة بالسابق أتاعها...” 17

« Parfois, il ose même m’adresser la parole : « Fatma, demain nous entamons le grand ménage à la maison... Pourrions-nous compter sur ta bonté pour que tu fasses un saut chez nous? Je te paye, je te paye et je t’enverrai la voiture officielle avec chauffeur ». 21

بعد الحديث عن مستويات اللغة التي لم تحترمها الترجمة الفرنسية - فجاء كلام فاطمة في مستوى واحد وكأنه شخصية واحدة تتحدث، علما أنها كانت تتحدث أيضا على السنة الآخرين - ندرج إلى مدى احترام الترجمة لثقافة الجزائريين.

2. الترجمة الفرنسية وروح الثقافة الجزائرية:

إن الثقافة تحيا بالكلمات وإن وفاء الترجمة للكلمات هي الطريق الأمثل لمعرفة ثقافة الآخر. سنذكر عدة أمثلة أهملت فيه الترجمة روح الثقافة الجزائرية.

ها هي فاطمة تتحدث عن جارتها بختة:

”المرة الثانية فتحت الباب و قريب ما عضتني [...] طايحة على الجيران كل يوم واحد يا لطيف.....” 10.

« La deuxième fois, elle a ouvert la porte et....Elle a failli me mordre. [...] Elle en veut au monde entier » 10.

لقد أهملت الترجمة التعبير "يا لطيف" الذي يستعمل لإبعاد الشر والعين. فالمعاملة السيئة لبخنة للجيران أمر سيئ يستعاذ منه وهذا ما لا نحسه في الترجمة الفرنسية، فنشعر أن بخنة هي ضحية المجتمع.

ثم ها هي تتحدث عن عمي الحاج الذي يهتم بكل الأشغال التي تتعلق بالعمارة من تصليح أدراج و مصابيح :

وعمره ما قال لواحد خلص معايا.. كلش من جيبيه.. وكى تقوله عمي الحاج بزاف عليك. يقولي يا بنتي الناس مشنفة وأعصابهم راحت كأخلاقهم. واللي بقاله شويه عقل يخدم لوجه الله، ربما يحشمو ويتبعوه..

تعي فيه: " يا عمي الحاج اللي حشمو خلاصو". 12

« - Ya, Ammi el Hadj, C'et trop pour toi ! tu n'es quand même pas une société de maintenance !

- Ca fait rien, ma fille, ça fait rien, même si les mœurs ont changé, que celui qui garde un peu de sagesse sème quelque goûtes de sueur en espérant que les autres soient piqués au vif et le suivent. Mais ya, Ammi el Hadj, tout ça a disparu ». 12-13

إن عمي الحاج متيقن أن العباد لا يتغيرون، فهم يستغلون طيبته لكنه سيستمر في عمل الخير. إنه ليس بالغبي، فهو لا يقوم بهذا من أجل سكان العمارة الطماعين، ولكن لأجل الحصول على الأجر وهذا ما لم تبرزه الترجمة الفرنسية. فالجزائري مسلم يعمل لدنياه ولآخرته، عكس الغربي الذي لا يهمله إلا الدنيا.

ونواصل مع هذا المثال وهو حديث رجل مع زوجته على لسان فاطمة: عي فيها: "يا مخلوقة، السنة تقول أنا نربي اللحية وانتي تلبسي الحجاب" 10.

« - Ecoute, ma belle, la sunna dit : la barbe est pour moi et le hidjab est pour toi ». 11.

إذا كان تعبير "يا جميلتي" (ma belle) يوحي باستهزاء الرجل بزوجته التي لا تفقه دينها، فمفردة "مخلوقة" التي لم تكن في الترجمة تصور ثقافة جزائرية عربية: فالرجل لا يذكر اسم زوجته أمام الآخرين، وفي هذا الحديث فالتعبير ينبض افتخارا وتعاليا على الزوجة.

ونجد مثلا آخر قد أخطأت فيه الترجمة الفرنسية حين وصفت فاطمة صديقتها فطيمة: "معلوم اللي يشوفها بنوادرها ولباسها الأبيض واقفة كالأسطورة يحسبها قبيحة." 13

« C'est vrai, elle paraît dure, avec ses lunettes, sa blouse blanche, debout, droite, impressionnante ». 15.

في الترجمة الفرنسية، استعملت مفردة "صلبة" (dure) لترجمة كلمة قبيحة. ولعل القارئ الفرنسي يتخيل امرأة عصبية ومتكبرة، لكن القبح هنا في اللغة العامية يصور امرأة غير مهذبة وقليلة التربية ولها تصرفات غير لائقة. فهل يعقل أن مئزرا أبيض ونظارات ووقفة شامخة يجعل من امرأة شخصا يفتقد إلى تربية سليمة أم أن هذا الحكم تدفعه الغيرة والحسد؟؟

ثم تتحدث فاطمة عن عجرفة السائق: "الحومة كاملة بره: فاطمة المساحة في سيارة الحكومة الكحلة! نروح دايمًا بحوايجي الجدد... والحق ساعات نطمع.. نحب نركب من لور كما هما... لكن السابق ولد الحرام ما نعرف واش يسال لي." 17

« Tout le quartier au balcon : « Fatma la femme de ménage dans la voiture noire du Gouvernement ». Parfaitement, Fatma la femme de ménage dans la voiture noire du Gouvernement. J'y vais toujours avec mes habits neufs, évidemment j'aurais préféré monter à l'arrière comme eux. Aller savoir pourquoi ce chauffeur m'en veut ». 21

إذا ما قرأنا الترجمة الفرنسية وجدنا فقط تساؤلاً عن سبب هذا التصرف من السائق الذي يرفض أن تمتطي فاطمة السياج الخلفي للسيارة، لكن في النص العربي نلمح فاطمة غاضبة ولهذا استعملت هذا التعبير الذي هو بمثابة قذف. إن إهمال هذا التعبير يصور لنا امرأة ترضى بالهوان من سائق وهذا ليس من صفات فاطمة.

ولما تتحدث فاطمة عن "عمي الحاج" وأشغاله نقراً: "يا لمجيرية حاشاكم مسدودة.. كل واحد يفكر في نفسه. اذا تكسرت درجة هو... اذا خرج خيط امتاع كهربا هو.. اذا تعوج مفتاح هو.. تقولش العمارة امتاعه وحده.. أنا شحال من مرة انحيله المكلسة من يده.. الوسخ تاع الدروج يا عجباً". 10.

« ... ou c'est le siphon qui se bouche. Et personne ne se dit qu'il a des voisins, que la terrasse est un bien commun. [...] Une marche est cassée, il la remplace sur le champ, des fils électriques pendouillent, il les arrange, des serrures bloquées, il est là, toujours là, [...] Même pour les ordures, il est partant ». 11

لم تكن هناك ترجمة لتعبير "حاشاكم" الذي يستعمله الجزائريون حين يتحدثون عن قذارة أو وسخ مادي أو معنوي. فهو دليل على احترام الآخر لكن لا نجد له أثراً في الترجمة.

وبعد حياة ملؤها الآلام والمشاكل تصل فاطمة إلى يقين:

"اما لا واش اجيني مليح، انعدي مكتوبي كيما اتكتبلي". 14

« Alors ce qui me reste à faire c'est de traverser mon destin avant qu'il me traverse ». 18

حين نقراً الترجمة نتصور امرأة ترفض وضعيتها المزرية وتريد أن تغير من حياتها، لكن النص العربي يرسم لنا امرأة كأكثر العرب، ترضى بمكتوبها لأنه قضاء وقدر من الله وهذا الرضا الأعمى هو ما سمّاه الإسلام بالتواكل الذي لا يمت بصلة إلى التوكل.

إضافة إلى التواكل، هناك تصرف آخر يميز العرب وخاصة الجزائريين وهو الشرف: "الحكومة أمتاعنا رايحة تشري الهوى من الخارج وتوزعو على الموظفين الصغار في شكل أنابيب صغار يلصقو في النيف، تتنفسى من هنا يخرج الهوى الفاسد من الودنين.

وقلت له حبيت نسالك: أحنا الصغار هاو عندنا النيف وبن يلصق الانبوب، وأنتم هاو ما عندكمش النيف، وين تلصقوه ذاك الأنبوب؟

يا فاطمة يا فاطمة، احنا الكبار ما نحتجوش النيف.. ما عندنا ما نعملو بالنيف.. احنا الكبار عندنا جهات أخرى نتنفسو منها." (20)

« Notre gouvernement va importer de l'air qu'il distribuera aux petits employés, dans des petits tuyaux qui seront fixés au nez, remarque bien ce grand détail, c'est au nez, symbole de l'honneur chez nous, que ces tuyaux seront fixés ; et c'est magique, tu inspires là et toute la pollution est expirée par les oreilles.

Je lui lançais : « Nous, les petits, nous avons moins le nif, le nez où fixer ce tuyau et vous, les grands, qui n'en avez pas, où allez vous le fixer ?

Hé ! Hé ! Ma bonne Fatma, mais nous les grands, on a pas besoin de nif. On a que faire de symboles. Nous, les grands, nous avons d'autres canaux de respiration ». 26.

إن المترجم يعلم يقينا أن الأنف هو رمز الشرف والمطأطئ رأسه لا يستحق الاحترام، لكن حديث المسؤول السياسي عن الأنف لم يكن بالتعبير المجازي بل كان يصف الأنف كعضو يساعد على التنفس ولكن فيما بعد، ولما أحست فاطمة أنها تهان استعملت رمز الأنف، لكن المسؤول كان أدهى حين وضع لفاطمة أن رمزية الأنف لا تعني شيئاً ما دام الشرف يحصل عليه بطرق أخرى.

ونختم أمثلتنا بشيء يميز الجزائريين وهو تصرفهم حين يقودون :

وقبل ما نغلق الباب خونا يكون في الرابعة، تقول هارب بيّ باش
يوصلني لدار الوزير، أنا الصبح نخاف من السرعة والتفرميل على غفلة".17.

« Et avant de fermer la portière il est déjà en quatrième. C'est un kidnapping, ce n'est pas une virée chez le ministre. Franchement, j'ai peur de la vitesse ». 22

لم يتحدث ابن قطاف عن السرعة فقط بل أيضا عن الفرملة المفاجئة
التي تعتبر إضافة إلى السرعة من أكثر أسباب حوادث المرور وهذا ما كان
يخيف فاطمة.

إن الترجمة الفرنسية لم تكثر بما يميز الجزائري العربي المسلم عن
غيره، أقصد الغربي وهذا ما يجعلنا أمام نص فقد ثقافته وسيفقده تمثيالاته
في هذا الجزء.

3. الترجمة و الكتابة المسرحية:

إن النص المسرحي كتب ليمثل فهو ليس مجرد حوارات فحسب بل
تمثيلات، هي أساس الكتابة المسرحية: كوصف الزمان وأبعاده و المكان
وحركاته و الشخصيات وأعماقها، إضافة إلى "الإكسسوارات" كالموسيقى
والأضواء. فهذا ابن قطاف يصور بداية المشهد الأول:

"الوقت فجر، فوق سطح عمارة صغيرة، بين حبال ومساسك ووزمة
حوايج موسخين، فاطمة شادة مكنسة في يد، ورجلها في اليد الأخرى
وتغلي كأن شيء عاكسها". (9)

« A l'aube, sur la terrasse d'un petit immeuble. Fatma s'affaire
à y mettre de l'ordre. Elle est très contrariée ». 9

لا نجد في الترجمة إلا حديثا عن الزمن وعن المكان الذي توجد فيه
فاطمة. فالسطح لم يكن شاغرا بل كان مليئا بالحبال والملابس المتسخة.
كانت فاطمة تحمل مكنسة: إنها مساحة العمارة. لم تكن فاطمة بخير

فحسب (contrariée) بل كانت تشتعل غضبا وهناك فرق واسع بين الإحساسين والدليل ما نقرأه فيما بعد :

”مسمار قد النخلة مشفتوش [...] أواه العمارة فسدت [...] الظلم

يزعف“. 9

« Ce clou, je ne l'ai même pas vu. [...] Je crois bien que notre immeuble a fait son temps. [...] Mais croyez-moi, l'injustice, ça rend aveugle ». 9

فالترجمة لم تصور بصدق الحالة النفسية لفاطمة، فالغيظ الذي كان قد تملكها لم يكن سببه قدم العمارة حسب الترجمة الفرنسية، بل لأجل الفساد الذي حل بها. وفي هذا الوصف، أهمل المترجم التشبيه الذي وضعه ابن قطف للمسمار. ولعل غضب فاطمة لكثرة ما عانتها من ظلم هو الذي أعماها عن رؤية مسمار كالنخلة: إنها غاضبة ضد جارتنا بختة التي تركت حوائجها معلقة في السطح، لقد استيقظت فاطمة من الفجر، لأنّ هذا اليوم على السطح هو وسيلة لتحلّق حرّة حتى المغرب أنا نقعد مرهونة؟ تروحلي دالتي، بوسي عينك.... بن آدم يستنى هاد النهار بالريق الناشف وعمتي تشخر...“. 9

« Ah bon, et moi, je resterai là à attendre, Madame pense que je suis à sa disposition ». 10

مرّة في الشهر تستطيع أن تفرّ من عالم العباد الغاشم لتحيا وحيدة على السطح في هدوء وسكينة. إنّها تنتظر ليس ساعة أو ساعتين، بل حتى صلاة المغرب وهذا ما أهمله المترجم. فالانتظار طويل طويل، ولعلّ فاطمة تحسّ وكأنها مرهونة. وهذا ما لن يحدث. ولقد عبّر الكاتب عن لفظة المستحيل التي أهملت في الترجمة بتعبير (بوسي عينك)، لقد صوّرت فاطمة فرحة جارتها بختة بزواج ولدها : ”وزيد النهار الأول كنت فرحانة وتطولي فلسانك“. 9

« Madame était sur un nuage ». 10

حقيقة أنّها كانت سعيدة لكن ما أهمله المترجم أنّ بختة كانت سليقة اللسان ومتعجرفة. فهي لم تتوقف عن الفخر بزواج ابنها ببنت موظف في البلدية. لكن هذا الزواج لم يكتمل، فإذا به العروسة قدمت استقالتها ووليدها دفع كواغطه.. أنا الشهر الأول عرفت ماتطولش " 10

« - Bakhta, ya, Bakhta, ce mariage va mal se terminer ». 11

إنّ ذكر المدّة هام لأنّه يبيّن الفشل الذريع لهذا الزواج رغم تكبر الأم. حتّى أنّ المترجم لم يذكر سبب الفشل حين فقد الزوجان عقليهما، وحين تحدّث فاطمة عن حلم صباها نداوي الحيوانات على الأقل يشفوا على الخير وما ياكلونيش " 14.

« ... soigner les animaux... Eux, au moins, n'ont pas la mémoire ingrate ». 18

لا تريد فاطمة أن تكون بيطريّة لأنّ الحيوانات مخلوقات تعترف بالجميل فقط حسب الترجمة، لكن لأنّ الحيوانات مخلوقات ودیعة وأليفة لا تظلم ولا يأكل بعضها بعضاً كالعباد. والمسرحية مليئة بالحديث عن علاقة فاطمة بالسائق، نقول له: "بالعقل يرحم والديك". 17

« ... je lui dis : Ya, Monsieur le chauffeur de son excellence le ministre, allez-y doucement SVP » 22

إنّ قراءتنا للترجمة تظهر لنا فاطمة امرأة شجاعة تتهمك من السائق الوزير. لكن النص العربي يرسمها امرأة تخشى السائق وخاصة حين كان يقود، لهذا فهي تتوسل إليه ليخفّف من سرعته. ولا يخفّف السائق من سرعته ويبدأ في الحديث عن أشغال الوزير: راكي عارفة غير نحطك أنت، نرفدو هو! عنده زيارة لورشة تاع بنيان كل يوم أتريب، زيارة لمعمل بوشونات كل ثلاث شهر تشعل فيه النار، وزيارة لمؤسسة تربوية ما ربات حتى شيء.. " 17

« Sache que sitôt déposée la petite Fatma, lui est déjà posé sur la banquette arrière... au gouvernement ça va vite... surtout quand il y a la télé qui est aussi toujours pressée, car il n'y a pas qu'un seul ministre, le mien a trois visites à effectuer ; une entreprise de construction à démolir, une usine de liège qui prend feu une fois par trimestre. Il doit résoudre cette histoire de nostalgie qui frappe de plein fouet nos vaches hollandaises ». 22

في هذا المثال يذكر السائق ثلاثة أعمال للوزير: زيارة ورشة بناء، تفقد معمل "بوشونات" وزيارة مؤسسة تربية. إن المترجم يقع في خلط، فالسائق قد تحدّث عن بناءات تقع كلّ يوم نظراً للغش في البناء وليس عن بناءات سيتم هدمها، فالفعل ليس قراراً سياسياً إرادياً بل هو نتيجة للإهمال. وحذف المترجم المهمة الثالثة للوزير ليضيف شيئاً جديداً ما أنزل الله به من سلطان، فالوزير يزور إسطنبول بقرات هولندية قد هدّها الشوق للعودة إلى بلادها. وأضاف المترجم أيضاً أمراً يتعلّق بسيارة الوزير، فقد تخيلها بتلفاز برامجه أسرع من تنقلات الوزير. ونجد إضافات أخرى سمح المترجم لنفسه بها وكأته يريد أن يصف المجتمع الجزائري

أمالاً تتصورو لو كان المساحات يحبسو ضرب النشاف.. كيفاش يكون مصير الوزارات والبلديات أمتاعنا.. يخرج منهم غير الريحه الكريهة يالطيف.. شكون يقدر يقرب منهم" 19

« Alors imaginez le sort de nos vénérable maries et ministères si les femmes de ménages se mettaient de la partie. Il ne s'en dégagerait que puanteur. Déjà que sans grève, ça sent mauvais, alors la faire avec préméditation, c'est l'asphyxie générale... D'abord il oublie qu'une femme, chez nous, ça fait pas grève. Elle n'a pas le temps ». 25

لقد رفضت فاطمة الإضراب لأنها تعلم أنّ ذلك يجعل الأمكنة قذارات. إلا أنّ المترجم الفرنسي أضاف سببين لهذا الرفض أظنهما نشأ عن حكم مسبق وهو أنّ المرأة في الجزائر لا يسمح لها بالإضراب وأنّها لا تملك الوقت لذلك مادامت تعمل خارج المنزل وداخله. حتى وإن كان هذا الحكم

صائبا، فعلى المترجم أن يكون وفياً للنص. وهذا الوفاء لا نجده في مشهدين جمعا فاطمة بمسؤول سياسي.

إنما هو لما شافني ما تأثرت بكلامه ما تحركت زاد القدام في الدسارة: "فاطمة راكي تعرقي بزاف؟" .. على نيتي قلت له: واش تحب لما تغلقو علينا البيبان والطواقي في الصيف الهوى ما يدخلش. 19

Mais devant mon calme il poussa un peu plus loin sa mauvaise plaisanterie : Hé ! Fatma, tu transpires beaucoup ! En toute sincérité je lui fis comprendre « qu'on manquait d'air ici ». 25

إنّ كلام فاطمة لم يكن مدفوعاً بصدقها فحسب بل لسذاجتها لأنّها لا تعرف كنه رجال السياسة، وهذه السذاجة هي التي دفعتها لقول الحقيقة التي لم تترجم بالفرنسية. فالمترجم استعمل الضمير العام (on) كمصدر لنقص الهواء إلا أنّ النص العربي بيّن أنّ فاطمة تتهم صراحة المسؤول وأعوانه. هذه السذاجة دفعت ثمنها غالبا حيث خصم من راتبها عشرة أيّام: "مسكين وحاسب روحه من الكبار. ماعلى بلوش أنه على نقاء بلادي يقدر انحيلي عشر سنين وما نقولش آه. ما هيش السومة الي تخرج مني آه، ماهيش الخدمة بزاف الي تخرج مني آه، حتى الضرب ما يقدرش يخرج مني الآه. الظلم هو الي يخرج مني الآه. الاهانة والاحتقار هما الي يخرجو مني الآه، تصغير ابن ادم خلقة ربي هو الي يخرج مني الآه، الجهل الي يطمع في الناس هو الي يخرج مني الآه، السيف الي يخرجني من ملة أجدادي هو الي يخرج مني الآه. لا اله الا الله". 21

« Pauvre type ! Et il se prend pour un grand, il croit m'humilier. Il ne sait pas que pour la propreté de mon pays même une mise à mort ne me fera pas hurler. Ce n'est pas ma sueur exploitée qui me fera hurler, ni même le chant de la lanière s'acharnant sur mon dos qui me fera hurler. Ce qui me fait hurler, c'est l'injustice, c'est l'humiliation et le mépris, c'est l'avilissement d'une créature de Dieu, c'est l'ignorance qui me voit objet, c'est le sabre aveugle me soufflant la répudiation de mes ancêtres. C'est tout ça qui me fait hurler ! Hurler pour garder mon âme ». 27-28

لم يفهم المترجم أنّ فاطمة تتحدّث عن المادة أقصد عن راتبها الذي هو سبيل عيشها فالعمل بالنسبة له الوسيلة الهامة للفرار من العوز، فالمترجم يرى في فاطمة مثلاً للشجاعة والتضحية دون مقابل، لكن لم يدر أنّ فاطمة ليست إلاّ مخلوقاً يحتاج إلى مال كي يعيش. كلّ ما يزعجها هو الظلم والاحتقار وخاصة ازدياد الرجل للمرأة. لهذا تحدّثت فاطمة عن صورة المرأة في نظر والدها أيامه وصورتها اليوم

”بابا الله يرحمه كان يقول المرأة يوزنوها الناس بعقلها وشرفها. كان غالط... ولو كان عاش حتى اليوم كان يدور في كلامه على خاطر اليوم المرأة يوزنوها بمقاييس أخرى... ساعات ما يوزنوهاش خلاص. شيء طبيعي عدد النساء في ارتفاع كبير في الوقت اللي عدد الرجال ماشي يهبط. على هذا التوازن الاجتماعي راح فيها. كان يقول لي ثاني... المرأة يا بنتي حاجة عظيمة، مقدسة، غالية بزاف” 16

« Mon père, que Dieu ait son âme, me disait que « la femme fait le poids de son esprit et de son honneur ». Il se trompait... car de nos jours, la femme ne fait le poids de rien de tout... de rien de tout... Il disait aussi que la femme est une créature sacrée, sublime et son prix n'a équivalent que la vie qu'elle donne ». 20

إنّ المترجم أهمل الحجج الهامة لفاطمة حول وضعية المرأة المزريّة. فهي ليست كما يقول والدها عظيمة مقدسة وتوزن بالعقل والشرف، بل فقدت كلّ هذا لسببين لم يذكرها المترجم. إنّها صارت توزن بمقاييس أخرى ولا داعي أن يذكرها الكاتب مادام المتفرج يستكشفها. ثم لكثرة عدد النساء بالنسبة لعدد الرجال وإذا زاد الشيء وكثر انعدمت قيمته.

آخر مثال هو وصف لنهاية المشهد:

بعد مدة قصيرة تصاحبها موسيقى ملائمة، فاطمة تنزل ذرعها ببطء وتبقى تنظر إلى الأفق ثمّ تتقدم لحافة السطح، تطلع عليها. تغمض عينيها وترفع وجهها للسماء: أنا غير فوق السطح اللي نقدر نتنفّس، غير فوق

السطح اللي نلقى التوازن أمتاعي (تمشي على حافة السطح)، نقدر نتحرّك بحريّة، نخدم بحريّة، وخاصة نتكلم بحريّة، التحت مخنوقة (تتوقّف راسي وراس النشاف لي نعصر فيه، أوه ما هوش غاضني الحال، نعرف قدرتي (تجلس)» 21

« Un moment de silence, Fatma se calme, puis, regardant vers le ciel comme pour s'excuser : Il n'y a que sur la terrasse où je peux respirer... où je peux bouger librement, travailler librement et, surtout parler librement. En bas j'étouffe. Perpétuel tête à tête avec l'outil de ma destinée que j'essore, que je serre très fort... presque une histoire d'amour, mais tout le contraire d'un conte de fées ! Et contrairement à ma serpillère à moi, je ne suis pas froissée. Amère, peut-être de vivre ce silence de la soumission, mais vexée, non, je ne peux l'être... J'ai trop de respect pour mon rang. Ma place, je la connais pour y être chaque instant que Dieu fait... » 28

لم تصف الترجمة المشهد كما في النص العربي : ففاطمة لم تكن تنظر للسماء لطلب العفو، ومن من ؟ في نص ابن قطاف ينتهي المشهد بموسيقى. فاطمة على حافة السطح تنظر إلى الأسفل، إنّها تغمض عينيها وكأنّها تريد الفرار من هذا العالم... إنّها لا تخاف السقوط... إنّها تتحرّك وفي الحركة حياة، تتوقّف ثم تجلس وكأنّها ملّت هذه الوضعية. وإن أهمل المترجم هذه التمثيلات فلقد أضاف كثيراً في وصف علاقة فاطمة ومنشفتها: فحسب المترجم فهي كعلاقة حبّ لا تشبه قصص وحكايات الجنّيات وكأنّه يريد أن يصبغ الحديث بمسحة غربيّة

إنّ الوفاء للترجمة يبدأ باحترام مستويات النص وروحه الثقافية وتمثيلاته ولعلّ هذه الترجمة تظهر يقيناً عدم دراية المترجم بحيثيّات الكتابة المسرحية الجزائرية رغم أنّ الترجمة كانت في أغلبيتها صحيحة إذا ما تحدثنا عن المفردات والكلمات. وختام هذا المقال هذا المثال الذي سأجعله دليلاً على أنّ الوفاء للنص الأصلي يبدأ من دراية لمستويات اللغة وروح ثقافة النص.

لما فوجئت فاطمة بثلاث نساء يدعونها للانضمام إلى صفوف أحزابهنّ

قالت: "وحدة نقولو مهبولة، لكن زوج، راي فيها إنّ وأخواتها". 26

« Une, à la limite, on peut penser qu'elle est folle, mais deux....
C'est un féminin conjugué. Alors que quand c'est trois, c'est toute
la grammaire qu'il faut refaire ». 33

إنّ عبارة "إنّ وأخواتها" وإن كان لها علاقة بالنحو العربي ليس

إلّا مثلاً يُضرب للتعبير عن الشكّ. فالمترجم وقع في خطأ أن ظن أنّ فاطمة
تتحدّث عن درس نحو.

Bibliographie :

1. ALLALOU, *L'Aurore du théâtre algérien (1926-1932)*, Oran, CRIDSSH, 1982
2. BENCHENEB, Rachid, *Regards sur le théâtre algérien*, In *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, N°6, 1969,
3. BENGUETTAF, M'hamed, Fatma, Paris, *le Bruit des Autres*, 1998.
4. BOUCHENTOUF-SIAGH, Zohra, *Usages linguistiques dans le théâtre amateur algérien*, Thèse de troisième cycle, Université Paris 3, 1978
5. MILIANI, Hadj, *Représentation de l'histoire et historicisation du théâtre en Algérie*, In l'Année du Maghreb, IV, 2008,